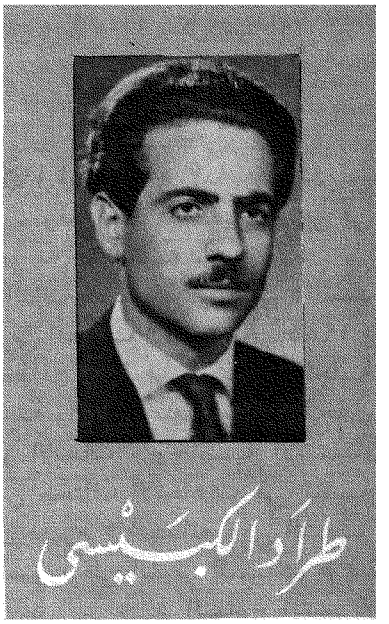

طرَاد الكبَيْسي

الآداب ودورها

في الشعر العربي الحديث

صدر العدد الاول من مجلة الآداب في (كانون الثاني ١٩٥٣) بهيئة تحرير عربية ـ غالبيتهم من (مصر ،ولبنان، وسوريا ، والعراق) مصدّرة بافتتاحية تحت عنوان (رسالة الآداب) مؤكدة فيها على ان الامة العربية تمر بمنعطف تاريخي خطير . وفي هذه المرحلة على اهل القلم ان يتحملوا مسؤوليتهم ، ويكونوا شاهدا على هذا العصر، شاهدا فعالا . وعلى هذا (فالادب الذي تدعو .. اليه المجلة وتشجعه هو ادب الالتزام الذي ينبع من المجتمع العربي ويصب فيه) . يعني هذا ان رسالة المجلة ، هي « رسالة قومية مثلى » « ومفهوم الادب القومي سيكون من السعة والشمول حتى ليتصل اتصالا مباشرا بالادب الانساني ، ما دام يعمل على رد الاعتبار الانساني لكل وطني ، وعلى الدعوة الى توفير العدالة الاجتماعية له وتحريره من العبوديات المادية والفكرية .. »

هذا بالاضافة الى معالجة مشكلات اخرى كثيرة كأبراز حيوية الادب العربي الحديث وخصبه وغناه ... بحيث « سيتاح للاداب ان تكون مرجعا مهما من مراجع الادب العربي الحديث ... »

وهذا ما حصل بالفعل . فالآداب اليوم ، مرجع لا يمكن لباحث في الادب العربي الحديث ان يستغني عنه بأية حالة من الاحوال وفي هذا العدد من « الآداب » نجد قصائد من الشعر الحديث (نزار قباني ، نازك الملائكة ، احمد سليمان الاحمد) منشورة الى جانب قصائد من الشعر التقليدي (د . سليم حيدر ، ابراهيم العريضي)، الى جانب الشعر المترجم ، والمنشور باللغة الام مقابل ترجمته العربية لجورج شحادة (ولو ان جورج شحادة عربي ـ لبناني الاصل) .

وهذا يعني على مستوى « الآداب » والشعر العربي:

اولا : ان قضية الشعر العمودي لم تحسم بعد . بل ان هذا الشعر ما يزال يحتل مكانته ، وما يزال شعراؤه الاصلاء (الجواهري ، عمر ابو ريشه ، بدوي الجبل ، الاخطل الصغير) قادرين على العطاء الفحل ، قبل ان يصل الى ما وصل اليه من الرثاثة والسخف في نهاية الخمسينات . ولهذا فلا عجب ان لا نرى «الاداب » تنشر منه شيئا بعد الستينات الا ما جاء في المناسبات .

ثانيا ، ان « الاداب » اسهمت قبل غيرها من المجلات العربية ذات الطابع والانتشار القومي ، في تبني الشعر الجديد ونشره والدفاع عنه ، كمجلة (شعر) مثلا . « فالآداب » :

(١) اسبق تاريخا وتاريخيا في الصدور وتبني الشعر الجديد بأربع سنوات على الاقل (صدرت (شعر) في ١٩٥٧) .

(٢) انها لم تتوقف على مدى ربع قرن ، بينما توقفت « شعر » مرتين قبل ان تموت نهائيا بانكشاف هويتها .

(٣) أن كل شعراء العربية تقريبا التقوا على صفحات « الآداب » ومن مختلف الاجيال . اما مجلة « شعر » فرغم انها في البداية كسبت عددا من الاسماء ، الا انهم سرعان ما انفضوا عنها ، بعد أن دارت الشبهة حولها ، واقتصرت على بعضة اسماء . فكان اعتمادها الاساسي على الترجمات من الشعر العالمي .

(٤) كما تميزت « الآداب » بأعدادها الخاصة عن الشعر العربي المعاصر وقضايا الادب والادباء .

(٥) والمهم في ذلك ايضا ، انها تبنت قضية الشعرالجديد وافسحت المجالواسعا لمعركة التجديد الشعريبشتى الاشكال : المناقشات ، والتعليقات ، والندوات .. ورغم انها بدت ظاهرة كما لو كانت « محايدة » بين الجديد والقديم ، الا انها عمليا وجوهريا مع الجديد أبدا . هذا بينما لم تصدر « شعر » الا عددا خاصا « بالشعر في الارض المحتلة » وكان مسيئا اكثر منه دفاعا عن هذا الشعر وعن المقاومة وشعرها .

(٦) واذا اعتبرنا شعراء الشعر الجديد (البياتي ،السياب، نازك الملائكة ، سعدي يوسف ، صلاح عبدالصبور ، احمد حجازي ، نزار قباني ..الخ)ناشئة آنذاك، والشعر الجديد شعرا ناشئا ، فأن (الآداب) قد عبرت عن تبنّيها لشعر هؤلاء « الناشئة » وتشجيعهم من خلال الاستفتاء الذي طرحته على جملة من الادباء العرب الذي قد تجاوزوا سن الناشئة آنذاك. حيث اكد الجميع على ضرورة ذلك ، واعتباره « واجبا مقدسا » اذا توفرت في نتاجهم « شروط الابداع والتجويد » . بحيث غدت « الزوبعة » التي اثارتها « الاداب » نفسها عن احتمال ، ان الشعر العربي اصيب بنكسة ، بعد شوقي ، زوبعة في فنجان ! سيما وان اعمدة الشعر العمودي(الجواهري،الاخطل الصغير،بدوي الجبل ، عمر ابو ريشة) كما قلنا ما تزال تتألق في سماء الشعر .. وان « الناشئة » الجديدة : « السياب ، فدوى طوقان ، نزار قباني ، البياتي ، نازك الملائكة ... وغيرهم » « تطمئننا على الشعر في حاضره ومستقبله » كما قال سيد قطب . في ذلك الاستفتاء . (الاداب) (٤) نيسان ١٩٥٣)

ولعل اول شهادة تقدير حازت عليها قصيدة حرة على صفحات الآداب هي قصيدة(الملجأ العشرون)للبياتي التي عدها الناقد محمد النقاش : « فتحا جديدا في لغتنا » (ع (٦) حزيران ١٩٥٣) وفي العدد (٨) آب ١٩٥٣) طرحت « الآداب » لاول مرة قضية الشعر الحديث ، ومسألة تحرره من القافية وقوالب الوزن التقليدية ، وكان الرأي هناك متناقضا تماما ، بين جيلين ، ففي الوقت الذي ايد الشعراء الشباب وبعض النقاد هذه القضية ، رأى الجيل الاسبق ، ان على من شاء ان يتحرر من قوالب الوزن والقافية ان ينظم « بلغة غير اللغة العربية » .

وبذلك ينفي بدوي الجبل عن نفسه تهمة التعصب للقديم ومحاولة فرضه على الناس » !؟ هكذا وبكل بساطة !

عددان ومنعطفان :

بين عامي ٥٥ ـ ١٩٦٦ اصدرت « الآداب » عددين خاصين بالشعر الحديث . وقد شكلا منعطفين بارزين في مسيرة هذا الشعر ، وتقويمه ، وتدعيمه .

ففي بداية سنتها الثالثة اصدرت « الآداب » العدد الاول الخاص بالشعرالعربي الحديث (كانون ثاني ١٩٥٥) فكان رغم تبكيره ، انعطافا كبيرا في احتضان المجلة للاتجاهات الشعرية الجديدة والدفاع عنها ، سواء من خلال النصوص المنشورة ، او الابحاث ، وخاصة الاستفتاء الذي شارك فيه ادباء من مختلف الاتجاهات في كتابة الشعر ونقده . ورغم أن مفهوم « الحداثة »في الشعر لم يكن واضحا ، او مقصورا على الشعر الذي عرف بالشعر الحر آنذاك . ذلك اننا نجد النماذج الشعرية المقدمة ، وحتى الفائزة بجائزة ، باستثناء قصيدة (سعد دعبيس) ليست من الشعر الحر ، وليست هذهمسؤولية (الآداب » بقدر مما هي مسؤولية الشعراء العرب الذين لم يحسموا نهائيا قضية الشكل في الشعر ، وما زالوا يتأرجحون بين الشكلين .

ثم اننا نجد شعراء معاصرين تم يشاركوا في هذا العدد ، كالبياتي واحمد حجازي وادونيس وغيرهم.. بينما شارك بعضهم بقصائد ليست حرة . كفدوىطوقان ونازك الملائكة وبلند الحيدوي ويوسف الخطيب والفيتوري بينما شارك (السياب) بقصيدة من رؤيا فوكاي ، وكاظم جواد ب (الشمس تشرق من المغرب) وصلاح عبدالصبور ب (الناس في بلادي) وهذا يؤكد ما قلناه ،من ان المجلات ليست هي التي تخلق الاتجاه ، بل تتبناه وترعاه .. والخالقون هم المسؤولون .

كما عكست الدراسات عن الشعر الحديث نفسها ، هذا المفهوم عن الحداثة ، الذي كان أقرب في محتواه الى « المزامنة » منه الى « الحداثة » مؤشرا بالموضوعات التي تهم الانسان المعاصر وتشغل حياته وتشكل اهتماماته . ومهما يكن فقد فتحت « الآداب » بهذا العدد افقا جديدا، واوجدت مناخا حريا بأن يؤثر فيما بعد ، وقد تلمس القارىء آثاره فعلا ، في الشعر ، وفيما عكسته الدراسات التي تضمنها العدد عن : الشعروالحلم، واصوات الشعر الثلاثة لاليوت ، والشعر الفرنسي المعاصر ، والشعر الروسي الحديث ، والانكليزي الحديث والامريكي الحديث .. فكأنهابذلك ربطت الحداثة بين الشعر العربي والشعر في العالم .

ورغم كل المآخذ التي قد نجدها اليوم على ذلك العدد ، الا ان تقويم العدد فيوقته ، لا بد أن ينتهي الى

انه كان حقا شهادة حقة عن واقع الشعر (وامتاز بصفة الشمول والاحاطة باحوال الشعر المعاصر في البلاد العربية ، وخاصة الاكثر تقدما حضاريا . فليس هو مجرد عدد من مجلة ادبية ، ولكنه كتاب واسع الاطراف يدور في موضوع واحد ، ويستوعبه استيعابا عميقا في كثير من الاحيان) كما قال رئيف خوري في نقده .

اما العدد الثاني (٣) اذار ١٩٦٦ الخاص (بالشعر العربي الحديث) فيشكل تحولا كبيرا في مجرى تجربة الشعر الحديث من جهة ، وفي دفاع الآداب عن هذا الشعر الذي لامت نازك الملائكة ، الدكتور سهيل على نشره بدافع من انها (اتتكست انتكاسا كبيرا عن موقفها السابق في تأييد الشعر الحر ودعمه ، لا لشيء الا لانه تجاوز بعض القواعد التي وضعتها هي له ..) (الآداب ع (١) ١٩٦٦) .

وقد كان من غايات هذا العدد الخاص بالشعر الحديث (مراجعة تجربة الشعر الحر ، واستعراض انجازاته وتعميق موضوعاته واستشراق آفاقه) كما قال رئيس التحرير في تقديمه للعدد . فقد تضمن العدد احاديث عن تجارب الشعراء الشعرية بأقلام كبار ممثليه: البياتي ، ادونيس ، صلاح عبدالصبور ، أحمد حجازي، محمد الفيتوري ، كما تضمن نماذج شعرية كثيرة لهم ولعدد آخر كبير من الشعراء الرواد وما بعد الرواد وشعراء ما بعد بعد الرواد .. كما تضمن دراسات نقدية تناولت مختلف القضايا الفكرية والفنية لهذا الشعر : المعاصرة والتراث ، والمعاناة الحضارية ، وغير ذلك من اوجه الحداثة : التيار الثوري ، المونولوغ ، المونتاج ، الفكر في الشعر ، العروض وموسيقاه .. هذا فضلا عن ان العدد تضمن دراسات عن (الشعر الاجنبي الحديث) و (الشعر السوفياتي الحديث)

وبمقارنة سريعة بين العدد الاول الخاص بالشعر العربي الحديث(ع (١)١٩٥٥) وهذا العدد وبينهما مسافة احد عشر عاما تقريبا نتبين التطور الهائل في الشعر الجديد . والتطور في الصحافة الادبية ، ووضوح كثير من القضايا التي كانت غامضة او مشوشة آنذاك (اوائل الخمسينات) . لقد كان العددان الخاصان بالشعر وثيقة هامة كاشفة عن المنحنى التطوري الذي بلغه شعرنا الحديث، والذي رفعت « الآداب » وما تزال ، قوس الدفاع عنه وتتعهده بالرعاية والانماء والتطوير .

اعداد ممتازة :

والجدير بالذكر ، اذا ذكرنا الاعداد الخاصة بالشعر الحديث ، ان « الاداب » لم تقتصر على هذا وحسب ، بل انها حرصت دائما ان تصدر اعدادا ممتازة تقع في المجال نفسه : (الادب والحياة) (من قضايانا الادبية) (الادب والقومية العربية) (دور الادب في معركة التحرر والبناء) (عدد خاص بأدب المقاومة) (والثورة الفدائية) (وفي ذكرى السياب) و (شوقي) و (فلسطين) وغير ذلك عشرات الاعداد التي يلعب الشعر فيها دورا كبيرا .

والتقويم الذي يمكن ان نلاحظه اجمالا، بالاضافة الى ما ذكرنا :

(١) لقد كانت « الآداب » جريئة في طرحها نماذج الشعر الجديد ، سواء في شكله او موضوعه ، فلم تتحرج عن نشر اي نموذج مهما كانت العواقب والمواقف التي ستترتب على ذلك من منع او نقد جارح.

(٢) كما ساهمت في تطوير الشعر الحديث ومفهوم الحداثة ، ليس من خلال النماذج الشعرية والدراسات كما قلنا ، وحسب ، بل ومن خلال نقد الدواوين في باب (النتاج الجديد) وفي المناقشات التي دارت حول الشعر الحر بين شعرائه ونقاده ، وعرض النشاط الثقافي في الوطن العربي ، والعالم ، ونقد العدد الماضي .

(٣) ولم تكن « الآداب » في عنايتها بالشعر ، معنية بالشعر من حيث هو لغة او وزن او بلاغة ، بل ومن حيث صلته بالواقع الاجتماعي والسياسي ، وصلته بتجربة الانسان في عصره .

(٤) وتدعيما لموقفها من الشعر الجديد ، لم تقتصر على شهادات شعرائه في مشروعيته ، بل استمزجت آراء الشيوخ ، كطه حسين الذي لم ير بأسا في التجديد والخروج على عمود الشعر ، فليس عمود الشعر منزلا من السماء ، اذا توفرت لهذا الشعر ، عناصر : الصدق والقوة وجمال التصور وطرافتها .. الخ وان يكون عربيا لا يدركه فساد من جهة اللغة ..

(٥) وكانت « الآداب » تملك هاجسا وحسا تنبؤيا بالجديد فمنذ العدد الاول لسنة ١٩٦٥ لمست بواكير الجيل الجديد (الستيني) وبشرت به ، وحرصت على ان توفر له الفرصة لان ينمو ويكبر ، ويحتل موقعه الجدير به .

(٦) والحقيقة ان « الآداب » لم تدخر وسيلة الا واستخدمتها في ابراز الشعر الجديد وتشخيص دوره في الحياة العربية الجديدة ، ومساعدته على اداء هذا الدور ، من خلال الاعداد الخاصة ، والممتازة . والملفات عن الشعر في هذا القطر العربي وذاك ..

بغداد